الإيحاء الدلالي في الخطاب الشعري الصوفي (شعر زينل الصوفي انموذجاً)

الباحث. علي حمزة مزبان

جامعة المثنى / كلية الإدارة والإقتصاد

journalofstudies2019@gmail.com

الملخص:

تكتسي الكلمة العربية أهمية بالغة إذ يتم بها التواصل في معاني الألفاظ لما تحمله من دلالات مختلفة حتى أنشئ علم مستقل عُرف بعلم الدلالة الذي فتح آفاقا كبيرة لدراسة الكلمة وما يتعلق بها من معان.

ومن أهم منتجات علم الدلالة نظريات عدّة منها نظرية الحقول الدلالية كآلية لدراسة المعنى والكشف عن فحوى النصوص, لذلك ارتأينا أن نطبق هذه النظرية على شعر زينل الصوفي واقتصرنا ذلك في ديوان "كان شيئا من الماء" ويعود السبب في ذلك حسب اعتقادنا أن الشاعر لم يُدرس دراسة أكاديمية وكذلك أنه يستحق الدراسة لما يمتلكه من مكانة شعرية وحصيلة لغوية, إذ يتمتع بلغة غنية بالدلالات المختلفة.

الكلمات المفتاحية: (الإيحاء الدلالي، الخطاب الشعري الصوفي).

Semantic suggestion in the Sufi poetic discourse

(Zainal Sufi poetry as a model)

Ali Hamza Mazban

Al-Muthanna University / College of Administration and Economics

Abstracts:

The Arabic word is of great importance, as it communicates the meanings of words because of the different connotations it carries, until an independent science was established known as the science of semantics, which opened great horizons for the study of the word and its related meanings.

Among the most important products of semantics are several theories, including the theory of semantic fields as a mechanism for studying the meaning and revealing the content of texts. Therefore, we decided to apply this theory to Zainal Al-Sufi's poetry, and we limited that to the book "It Was a Thing of Water." The reason for that is according to our belief that the poet was not studied. It is also academic and deserves study because of its poetic stature and linguistic outcome, as it enjoys a language rich in various connotations.

Keywords: (semantic suggestion, Sufi poetic discourse).

التمهيد:

قسم التمهيد إلى مطلبين, فتكلمت عن حياة الشاعر زينل الصوفي وإنجازاته الأدبية ومشاركاته العلمية في المطلب الأول, أما المطلب الثاني: فاختص بالكلام عن علم الدلالة بشكل موجز.

المطلب الأول:

زينل محمد الصوفي شاعر عراقي ولد في الخامس من ديسمبر سنة ١٩٧٤, في العراق مدينة نينوى/ تلعفر, حاصل على شهادة البكلوريوس في علوم اللغة العربية وآدابها من جامعة الموصل سنة ١٩٩٦, قد تهجّر من مدينته إلى محافظة النجف بعد أحداث حزيران ٢٠١٤ وذاق مرارة التهجّير لذا غالبا ما نرى شعره اتسم بطابع الحزن والحنين على الرغم كانت هجرته إلى مدينة أخرى من مدن العراق لكنه علاقته بمدينة تلعفر جعلته يصوغ شعره بدموع قبل الكلمات التي ينسجها, وفي الوقت الحالي يعمل في إحدى المدارس العراقية بصفة معلم جامعي, أسس مع مجموعة من أدباء مدينة تلعفر "منتدى تلعفر الثقافي" وأختير رئيسا له, وقد وردت ترجمته في الموسوعة العربية الكبرى لشعراء العرب ١٩٥٦-٢٠٠٦, في الصفحة ٦٦٢, تأليف الشاعرة المغربية فاطمة بوهراكة سنة ٢٠١٧, ولم أحصل على هذه الموسوعة, ومن أهم نشاطاته وأعماله هي:

أولا: نشاطاته الأدبية:

١- عضو اتحاد الأدباء والكتّاب في العراق حاليا.

٢- عضو اتحاد الصحفيين العراقيين حاليا.

٣- عضو نقابة المعلمين العراقيين حاليا.

٤- نشر العديد من القصائد في الجرائد والمجلات العراقية والعربية.

٥- شارك في العديد من المهرجانات الشعرية داخل العراق وخارجه.

المطلب الثاني:

علم الدلالة

تعد الدلالة من أهم العلوم التي شغلت فكر الانسان في مختلف العصور وتعاقب الحضارات, إذ هي أساس التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع البشري وأساس الرّقي والازدهار, لذا فهي حجر الأساس لعلم اللغة العربية, وما غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية إلا لتوضيح المغزى الدلالي وإزالة الغموض.[١]

تعريف الدلالة:

لغة: تدل مادة (دلّل) ((على إبانة الشيء بإفادة تتعلمها))[٢], والدلالة, ((فالدليل ما يستدل به وقد دلّه على الطريق يدُّله دِلالة ودَلالة والفتح أعلى)).[٣]

اصطلاحا: عرفها الأصفهاني بأن: ((الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات على الرموز والكتابة والعقود في الحساب, وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد, كمن يرى حركة انسان فيعلم أنه حيّ))[٤], فيرتبط تعريف الدلالة بجانبيه اللغوي والاصطلاحي بدراسة علمية للمعنى بسياقات الألفاظ التركيبية, إذ الوحدات المعجمية قد تخرج عن مفهومها المعجمي إلى مفهوم آخر في التركيب الكلامي.

المبحث الأول

الحقول الدلالية:

تعد نظرية الحقول الدلالية من أهم نظريات علم الدلالة, فتقوم على أساس جمع كلمات اللغة ووضعها في مجموعات تختص كل مجموعة منها بمجال معين وترتبط معاني الكلمات فتوضع تحت مصطلح عام يجمع بينها, فدلالة الكلمة لا تُحدد من خلال علاقاتها بالكلمات في المجموعة الدلالية التي تنتمي إليها[٥], فالحقل الدلالي هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة[٦], أو ((هو مجموع من الكلمات تربط فيما بينها علاقة لسانية مشتركة وتوضع تحت لفظ عام يشمل كل تلك الألفاظ الثانوية))[٧], أي أن الكلمات التي بينها علاقة دلالية يربطها معنى عام تُضم تحت حقل دلالي معين, مثل: ألفاظ الطبيعة, الفاظ الألوان, ألفاظ الحز, ألفاظ الحرب... وهكذا.

وللحقول الدلالية أهمية كبيرة, إذ تعد دراستها في الوقت الراهن ذات أهمية بالغة ولها فوائد كثيرة لما تحويه من نتائج مهمة, إذ تجمع بين الوحدات المعجمية متقاربة المعنى في حقل معين مما جعلها تسهم في الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الوحدات المعجمية[٨], وكذلك تساعد في إيجاد الحلول للكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي, كما أن أهمية هذه النظرية تتمثل في تجميع المفردات بحسب الصفات التي تتميز بها كل صيغة لغوية مما تساعد القارئ على رفع اللبس[٩], وقد اقتصرت دراستي للكشف عن الحقول الدلالية في ديوان كان شيئا من الماء للشاعر العراقي زينل الصوفي على: حقل ألفاظ الماء, وحقل ألفاظ النبات, وحقل ألفاظ الحرب, ولا شك أن حقل ألفاظ الحزن له علامة بارزة في شعر زينل الصوفي فلو تفحصنا ذلك لوجدنا في كل بيت لفظة في هذا الحقل ألا أن ذلك بحاجة لدراسة أكاديمية موسعة, والدراسة التطبيقية هي:

أولا: حقل الألفاظ الدالة على الماء:

يضم هذا الحقل وحدات دلالية في حقل الماء, وعدد كلماته بحسب تواترها في الديوان (٤٦) جاءت بسياقات تركيبية متنوعة الدلالة يعبر بها الشاعر عن موضوعات عدّة, وهي بالجدول الآتي:

الوحدة الدلالية	تواترها في الديوان
الماء	**4**
العطش	**2**
الفرات	**4**

قطر الندى	**1**
الغيم	**4**
الظما	**3**
السحاب	**3**
ماطر	**2**
النهر	**4**
الارتواء	**4**
السيل	**3**
البحر	**2**
الذوبان	**1**
السقي	**1**
الزلال	**1**
الامطار	**1**
الطوفان	**2**
الشراع	**1**
الجفاف	**1**
البئر	**1**
دجلة	**1**
المجموع:	**46**

فالألفاظ التي حملت دلالة الماء في الجدول أعلاه قد وظفها الشاعر بموضوعات حملت شعوره فمناها ما جاءت لتعبر عن حزنه وألمه وتألمه وغيرها, إذ يقول في قصيدة "أهل الحي الراحلون" :[١٠]

ومن قربهم يجري الفرات بشهوةٍ

وأغصانهم لو قبلّت فاهُ تَذبُلُ

.

ولا قطرة تنوي زيارة قحطهم

كأن سماهم بالعذابات تهطل

إذ عبر الشاعر عن فراق الأحبّة والأهل والجيران في مدينته "تلعفر" فهي لم تعدّ كما كانت أيام الصبا, فغلب عليها طابع الحزن, ولم يكن الحزن بعيدا عن زينل الصوفي, فأغلب قصائده اتسمت بالحزن إن لم تكن كلها, فالشاعر لم يتخذ الشعر للنظم بل عبر ما يدور بداخل نفسه وما تحمله من شعور صادقة.

يقول في قصيدة " إفادة الماء"[١١] التي كتبها لشهداء العبّارة في الموصل يم غرقهم في نهر دجلة:

وفي الطف

قد قالوا الفرات غريمنا

وحلّوا جُناةً يعتلون المنابرا

لذا جاء دوري

كي أُدان بذنبهم

وكي أتلقّى في فؤادي الخناجرا

إذ عبر الشاعر عن حزنه لما حل بالشهداء فهو هنا يُبرأ نهر دجلة ويتكلم عن لسان حاله, وشبهه بالفرات وقضيته مع عطاشا كربلاء.

ويقول في قصيدة "ثلاث رسائل إلى ليلى", التي عبر بها عن الوجع والتيه والتشرد الذي وصف حبه كحبّ مجنون ليلى, يقول:(١٢)

على سمائي

صبايا غيمتي يبست

القحط يا أنتِ مناها أسقط الحَمْلا

فالشاعر يبكي مطرا من الكلمات التي يشعر بها تجاه مَن يحب ويذّكرها إن كان هناك غيره بتساؤلات عديدة ويطلب منها تسميته وهل هو مثله؟ ويجيب نفسه بأنه ليس مثله, ويصف حاله بعد كل هذه التساؤلات, فطابع الحزن غلب على القصيدة من أولها إلى نهايتها حتى قال:

مجراي جفّ وشكل الماء غادرني

كلّي تغيّر

إنّي لم أعد سيلا

فهو هنا يصف حاله بعدها بأنه لم يعد كما كان فكل شيء به جفّ وانقضى لم يعد يملك شيئا سوى روح داخل جسد.

ويقول في قصيدة "مثقل بالعراق":(١٣)

مذ نشرت الأشعار

فوق سحاب ماطر

لي أقيم فيه عرش

..

ماطرا جئت

كيف يغلبُني

مَن وزنه في معاجم الشعر قشٌ.

فالشاعر يستدعي شموخه وكبريائه من شموخ وكبرياء بلده العراق, فهما لم يكونا فرشا ولا قشّا بل لهما العرش والصدارة كتبت أحرفهما في أعالي السماء, فهنا قد عبر الشعار عن حبه للوطن الذي لم يكن تابعا مهما حصل معه من أمور سياسية تريد أن تأخذ به للهاوية.

ثانيا: حقل الألفاظ الدالة على النبات:

ألفاظ النبات من الوحدات الدلالية البارزة في شعر زينل الصوفي, فمن الطبيعي أن نجد الطبيعة متغلغلة عن الشاعر لأنه من مدينة شمالية مجاورة للحدود السورية وتمتاز بعلو موقعها وجمال طبيعتها فروح الشاعر امتزجت مع طبيعة مدينته الخلابة, والجدول الآتي يوضح ذلك:

الوحدة الدلالية	تواترها في الديوان
الورد	**9**
الأغصان	**3**
الذبول	**5**
السنبل	**1**
حنظل	**1**
الاشجار	**1**
الازهار	**6**
الأوراق	**3**
البستان	**3**
الزرع	**2**
التين	**1**
التمر	**1**
العشب	**2**
الحديقة	**3**
حقول القرنفل	**1**
العود	**1**
القمح	**1**
المجموع:	**44**

فقد وردت الوحدات الدلالية الدالة على النبات في الحقل أعلاه (٤٤) لفظة بسياقات تركيبة متنوعة وظفها الشاعر كُلًا حسب سياقها الخاص اصبحت تعبر بشكل أو بآخر عن ذات الشاعر, فكانت الطبيعة وخضار النباتات ملجأ الشاعر الوحيد, إذ يقول في قصيدة "الوهم": [١٤]

وكتبته بدم الورود ففحته

وسكنته مذ كنت حتى كنته

..

لكنّه قد كان غصنا ذابلا

مهما بصبغ أخضر لوّنته

فالشاعر يندب عمره الضائع واصطناع الأعذار مهما حصل معه, فالعمر الذي قضاه لم يكن نافعا, فالغصن الميت مهما سقاه الفلاح لا يجدي معه السقي, فقد وظف ذلك بعبارات تحمل دموع الشاعر بكل مفاصلها.

يقول في قصيدة " وظنّوه زوالا" :[١٥]

إذا فاحت الأزهار من شفةِ الرُّبى

فيعني على الدنيا أطل بهاؤه

..

على سمعهم شعرا يدير سكوته

ويروي بساتين القصائد ماؤه.

فالشاعر أتخذ من هذه القصيدة وطنه العراق رمزا للإباء والكبرياء, فهنا أستدعى الشاعر عبق الأزهار لدوام بقائه وجمال بهائه, ثم يقول في نفس القصيدة:

إلى الآن يسعى خلفه كلُّ حزنهم

ملاذ لأطفال الأسى كربلاؤه

على سمعهم شعرا يدير سكوته

ويروي بساتين القصائد ماؤه

فتاريخ العراق دوّنَ بتاريخ كربلاء الحسين (ع), فرمزية البقاء والشموخ الدائم اتسمت بوجود كربلاء والعراق والحسين (ع) والماء.

ويقول في قصيدة " الوزيران":[١٦]

ووادٍ من الورد يُخفي الرحيق

تُراني سألثم منه ثّراني...؟

..

أواني لأقطف تينا شهيا

تدّلى أمامي وكّلّي يدان

حملت هذه القصيدة في طياتها لجوء الشاعر للتفاخر بنهري دجلة والفرات, ويرى لا أمان إلا بينهما ولا اتزان إلا بحضنهما, فهذان النهران هما رئتي العراق, إذ يبتدأن من الشمال حتى ملتقاهما في أقصى الجنوب, فغالبا ما نرى ألفاظ النباتات في المعجم اللغوي لدى الشاعر يوظفها للكبرياء والبقاء فهو يرى العراق باقٍ, ومتجدد كتجدد الأغصان وألوان الشجر, وقضية الامام الحسين (ع), فغالبا ما توحى ألفاظ النباتات إلى عالم الجمال والنظارة.

وفي قصيدة " في حضرة المتنبي"[١٧] يقول:

نثرت حرفي على كل الجنان لذا
سيورق الزهرُ في أغصان ديواني
ظن الجميع بأن الفقر أتعبني
وبعده ينتهي دربي بخذلان

فالشاعر في هذه القصيدة يستدعي فخر المتنبي في قصيدته التي مطلعها:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فالشاعر زينل الصوفي هنا وظف فخره بالحزن ووصف نفسه بنواة الحزن حقا فكلماته في كل شعره اتسم بطابع الحزن والألم فقال لي في محادثة على مواقع التواصل: ""الحزن صديقنا منذ الطفولة وكان وجبة أساسية على مائدتنا يا صديقي"", فهو في هذا المقطع من قصيدته قد سبقه بمقطع يقول:

أنا البكاء وعين البؤس تذرفني
تبقى المواجع تستجدي بأحزاني

وكل هذا فهو لا يستسلم إذ نراه يتشبث بالحياة وجمالها بكل ما لديه من قوة فيصف نمو حرفه في قصيدة ثم في ديوان كما تكون الحبة بذرة والبذرة عود والعود شجرة فيها أغصان وثمار هكذا هي قصائد الشاعر عبارة عن أشجار من الحزن وثمارها الدموع الجارية.

ثالثا: حقل الألفاظ الدالة على الحرب:

فرض معجم الشاعر على البحث وجود حقل لألفاظ الحرب, وهذا راجع إلى وطنه الذي عاش حروب كثيرة وما صاحبها من ألم وويلات للشعب حتى أن الشاعر نفسه قد ذاق الأذى من هذه الحروب إذ هُجر من مدينته إلى مدينة النجف الأشرف وقضى فيها أربعة أعوام على فراق موطنه "تلعفر" , والوحدات الدلالية تمثلت في الجدول الآتي:

الوحدة الدلالية	تواترها في الديوان
الصراع	**1**
الجيش, جيشا	**8**
السهم, السهام	**3**
الطعن, الطعنات	**4**
الحرب, الحروب	**7**
الطف	**1**
الخنجر, الخناجر	**3**
الغزو	**1**
أرض الوغى	**3**
الجند, الجنود	**2**
القضبان	**1**
خصمان	**1**

سجان, مسجون, سجن	**1**
السيف, السيوف	**3**
قتلى, قاتلي	**2**
الرمح	**1**
القوس	**1**
الجوع	**2**
الحرمان	**4**
الجراح, الجروح	**10**
نيران	**3**
اللجوء	**1**
مذبحة	**2**
مكبل	**1**
المجموع:	**68**

قد سجلت الوحدات الدلالية على ألفاظ الحرب حضورا لافتا في شعر زينل الصوفي بسياقات واستعارات متعددة, وقد أنتجت لنا أحاسيسا أليمة ودموعا كثيفة قد تركها الشاعر للقارئ ليكمل بكاءه, إذ يقول في قصيدة "أهل الحي الراحلون":(١٨)

على ثغرهم يحبو ابتسام مكبّل

إذا طوّقته الحرب ماذا سيفعل

تغيّر هذا الحيُّ ما عاد قلعةً

علا سورها كلُّ إليها سيدخل

فالشاعر صور لنا الفجيعة التي حلّت بقلعة "تلعفر" فهي لم تعد آمنة كما كانت سبب حرب "داعش" فقد بعثروها وبعثروا أشياءها الجميلة, ولم تكن أسوار قلعتها شامة وآمنة فقد أصبحت حطاما, حتى أصاب أهلها الجوع والحزن والحرمان, إذ يقول في مقطع آخر:

ولقد ترك الحرمان في الفم طعمه

فإنّ مذاق الشهد في اليأس حنظل

فالشاعر صوّر لنا ضرر الحرب بصورة بليغة جدا فالفرق كبير بين الحرمان والعطاء وبين الحرب والسلم كفرق طعم الشهد من الحنظل.

ويقول في قصيدة "إفادة الماء" يصف لنا حادثة عبّارة الموصل في نهر دجلة كموقف نهر الفرات في معركة الطّف, يقول:

وفي الطف

قد قالوا الفرات غريمنا

وخلّوا جُناةً يعتلون المنابرا...

لذا جاء دوري

كي أُدان بذنبهم

وكي أتلقّى في فؤادي الخناجرا...

ففي هذا المعركة على الماء جعلت من الشاعر حاكما يحكم بالعدل فما ذنب الماء من هذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيَّ﴾(الأنبياء:٣٠), فمن الماء كل شيء يحيا يزهر, فالذنب ذنب الظالم والقاتل والجائر وليس ذنب الماء, فألفاظ الحرب "الطف" , "الخناجرا" قد وظّفها الشاعر بصورة موحية فكثير منا يلوم البحر أو النهر أو الماء على العطش أو الغرق دون النظر إلى القاتل الحقيقي.

وفي قصيدة "القناع"[١٩] يقول:

أنا حرب نفسي

مُذ سكنت بخافقي

مُذ طفل رأسي في الخفاء أطاعك...

فالشاعر وظف لفظة "الحرب" ليعبر بها عن حربه الداخلي الذي أتعبه وأرهقه على الرغم من حبه للذي يصارعه فهو يريد أن يوضح حربه معه مذ كان طفلا, وفي قصيدة " صورتي الشخصية"[٢٠], يطرح تساؤلات عدّة عن حزنه ويأسه وصراعه النفسي يقول:

أكلِّمُني

يردُّ عليّ صمتي

أتدري يا أنا خصمان نحن...

أنا بيني وبيني ألف حرب

وسجّان ومسجون وسجنُ

سدّد بالسهام عليّ كفي

وكُلّي في الوغى

سيفٌ وطعنُ...

فالشاعر خاصم نفسه بنفسه, ويرد بنا لقول المتنبي:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

فالشاعر زينل الصوفي لديه معجم لغوي واسع جدا وثقافة واطلاع كبيرين على التراث العربي, فيرى الحرب الحقيقة هي حرب الانسان مع نفسه والصراعات الداخلية التي عاشها عبرها بألفاظ رائعة فهو مَنْ يخاصم نفسه وهو من يخوض الحرب مع نفسه وهو السجّان والمسجون وكفه من تسدد السهام على جسمه النبيل, إذ صور لنا روحه بشكل كامل وما عليه من آثار الحرب والطعن بالسيف؛ لأن الألم ألم الروح لا ألم الجسد فكم منا تراه باسما وفي نفسه ألف جرحٍ.

المبحث الثاني

رصد العلاقات الدلالية الواردة في الديوان

قد وردت كثير من العلاقات الدلالية المتمثلة في الترادف والتضاد في ديوان الشاعر زينل الصوفي فقد وظفها بشكل بارع في هيكل قصائده فبث فيها روحا ليصور لنا ديمومة الحركة في الشعر, فالشعر لديه عبارة عن جسد متحرك لا حروف مرصوفة مع بعضها.

أولا: الترادف:

الترادف لغة: هو التتابع, وقال الأزهري: ((الرِّدْفُ مَا تَبع شَيْئا فَهُوَ رِدْفُه، وَإِذا تَتابَع شيءٌ خلْفَ شَيْء فَهُوَ التَّرادُف، والجميع الرُّدافَى))[٢١], واتفقت المعاجم على تعريف الترادف بأنه التتابع.

الترادف اصطلاحا: عرفه الجرجاني بأنه: ((هو دلالة عدّة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة))[٢٢], أما عند التهاوني((هو توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة))[٢٣], وعند المحدثين, هو: ((تعدد الدوال التي تشير الى مدلول واحد او هو اتفاق الكلمات في المعنى واختلافها في اللفظ)).[٢٤]

هناك كمٌ كثير من الألفاظ المترادفة سأذكر منها نماذجا ما تيسرت للباحث, فهي كثيرة جدا لدى الشاعر وهذا نابع من تبحره في اللغة العربية, ومن هذه المترادفات, هي:

١- كبل/ قفل, يقول:[٢٥]

على ثغرهم يحبو ابتسام مكبل

سوى باب حظٍ فهو للآن مقفل

قال الأزهري:((أَبُو نصر عَن الأصمعيّ: الإِسَار: القَيْد، وَيكون كَبْلَ الكِتاف))[٢٦], وعند ابن فارس هو القيد الضخم[٢٧], والمقبل في اللغة من ((أَقْفَل الْبَابَ وأَقْفَلَ عَلَيْهِ فانْقَفَلَ واقْتَفَل، وَالنُّونُ أَعلى، وَالْبَابُ مُقْفَل وَلَا يُقَالُ مَقْفول. الْجَوْهَرِيُّ: أَقْفَلْت الْبَابَ وقَفَّلَ الأَبواب مِثْلَ أَغْلَق وغَلَّق))[٢٨], ومن المترادفات أيضا.

٢-كبر/ شيخ: يقول:[٢٩]

نعم كبرت

وشاخ القلب يا ليلى

يقال للكبر:((قد شَيَّخَ الشَّيْخُ تَشْيِيخاً _ إِذا كَبِر))[٣٠], ويقصد بقوله "شاخ القلب" أي: شاب قلبه فقد استعار الشيب للقلب, والشيخ في اللغة:((يَعْنِي رَأْسَهُ أَي شاخَ فَخَضَب)).[٣١]

٣-جرى/سال, يقول:[٣٢]

مجراي جفّ وشكل الماء غادرني

كُلي تغيّر

إنّي لم أعد سيلا

والمجرى في اللغة يقال لكل ما فاض ماؤه وارتفع يسمى مجرى فهو للمكان, ويقال: مجرى الدمع, وإذا صمر الماء فهو جرى من حدور [٣٣], والسيل في اللغة يقال: ((سيل: السيل: مصدر سال الماء يسيل وغيره)).[٣٤]

٤-لحن/غناء, يقول:[٣٥]

ويزرع في الآذان حبّة لحنه

ليحصد إعجاب الجميع غناؤه

فاللّحْن بسكون الحاء هو الخروج عن الصحيح في العربية أما بفتح الحاء فيكون لحَنا يقال: تدل على الذكاء والفطنة, ((يُقَالُ لَحِنَ يَلْحَنُ لَحْنًا، وَهُوَ لَحِنٌ وَلَاحِنٌ))[٣٦], والشاعر استعمل اللحن بمعنى صياغة الصوت الجميل بتقسيماته وعِرَبهُ, والغناء في اللغة, فهو حسن الصوت.[٣٧]

٥- السماح/الصلح, يقول :[٣٨]

ماذا تقولين؟

هل حقا أسامحهم

لم يتركوا فرصة يا أنتِ للصلح.

السماح في اللغة من ((سَمَحَ لي بِذَاكَ يَسْمَحُ سَماحَةً، وَهِي الْمُوَافقَة على مَا طَلَب))[٣٩], والسمُح بضم الميم يدل على خلاف الحسن, وبفتح الميم يدل على السلاسة والسهولة[٤٠], والصلح هو ((يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ. يُقَالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلَاحًا)).[٤١]

٦- البكاء/ الدمع, يقول :[٤٢]

لأربعين بكاءً

لم يزل سببا لأدمع

وطريقا نحو حرماني

البكاء هو((بِمَعْنى حنّ؛ أَي: بَكَى، يُقَال: هَنَّ الرجل يهن: إِذا بَكَى؛ أَي: حن، أَو أنّ، وَيُقَال: الحنين أرفع من الأنين))[٤٣], والدمع ماء العين,[٤٤]البكاء حالة تعتري الإنسان من الهم وضيق القلب مع جريان الدمع على الخد, والشاعر هنا يعبر عن الهم والحزن الذي أصابه بطريقة البكاء . .

ثانيا: التضاد:

التضاد لغة: قال ابن منظور: ((ضَدَدْتُ فُلَانًا ضَدّاً أَي غَلَبْتُه وخَصَمْتُه. وَيُقَالُ: لَقِيَ القومُ أَضْدادَهُم وأَنْدادَهُم أَي أَقْرانَهُم. أَبو الْهَيْثَمِ: يُقَالُ ضادَّني فُلَانٌ إِذا خَالَفَكَ، فأَرَدْتَ طُولًا وأَراد قِصَراً، وأَرَدْتَ ظُلْمة وأَراد))[٤٥], وقد وردت كثير من الألفاظ المترادفة في المعاجم اللغوية, منها: الموت ضد الحياة, والكفر ضد الايمان, والاستقباح ضد الاستحسان, والضر ضد السر, والغم ضد الفرج وهلم جرا.

التضاد اصطلاحا: جاء في كتاب الأضداد للسجستاني هو ((أن تؤدي في اللفظة الواحدة معنيين مختلفين متضادين تنبئ كل لفظة عن المعنى الذي تحتها وتدل عليه وتوضح تأويله))[٤٦], وعدّه الصاغاني جنسا

من أجناس الكلام العربي يراد به أن تؤدي في اللفظة الواحدة معنيين مختلفين متضادين[٤٧], وهناك كثير من ألفاظ التضاد في شعر زينل الصوفي سأذكر منها:

١- مقدما/ خلفك, يقول:[٤٨]

ربّاك خزنك واصطفاك مقدما

والخلد خلفك يقتفي إمضاءك

والقدم في اللغة هو ((مُقَدَّماً أَي: اجْعَلُوني كُفؤاً مُهَيَّأً لِرَجُلٍ شُجاع؛ وَيُرْوَى: رَشِّحُوا بِي مُقَدِّماً أَي رَجُلًا مُتَقَدِّماً))[٤٩], وهو يدل على سبق[٥٠], والخلف في اللغة يقول ابن فارس:(((خَلَفَ) الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا أَنْ يَجِيءَ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَالثَّانِي خِلَافُ قُدَّامٍ، وَالثَّالِثُ التَّغَيُّرُ... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ خَلْفٌ، وَهُوَ غَيْرُ قَدَّامٍ. يُقَالُ: هَذَا خَلْفِي، وَهَذَا قُدَّامِي. وَهَذَا مَشْهُورٌ)).[٥١]

٢- البقاء/الفناء, يقول:[٥٢]

هناك على كفّ الخلود بقاؤه

وليس كما قالوا عليها فناؤه

البقاء في اللغة قال الأزهري عن ((اللَّيْث: الفَنَاء: نقيض البَقَاء، والفِعْل: فَنَى يَفْنَى فَنَاءً، فَهُوَ فانٍ))[٥٣], وقد استعمل الشاعر الخلد مع البقاء ليوظف دوام البقاء[٥٤], والفناء في اللغة هو: ((الُوا: فَنِيَ يَفْنَى فَنَاءً، وَاللَّهُ - تَعَالَى - أَفْنَاهُ))[٥٥], وهو ضد البقاء.[٥٦]

٣- الشرق/الغرب, يقول:[٥٧]

على الشرق من دولتني عندليب

وفي الغرب نهر يغذي جفاني

الشرق والغرب في اللغة, يقال: ((غرب: الغَرْبُ والمَغْرِبُ: بِمَعْنًى وَاحِدٍ. ابْنُ سِيدَهْ: الغَرْبُ خِلافُ الشَّرْق، وَهُوَ المَغْرِبُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ)).[٥٨]

٤- الاتقاد/ الانطفاء, يقول:[٥٩]

توقد طاف المنتهى في اتّقاده

عليه بنيران يدل انطفاؤه

التوقد في اللغة, ((فَعَلَى معنى النَّار إِنَّهَا توقد مِن شَجَرَة. وَيُقَال: أوقَدْتُ النَّار واستَوقَدْتُها إيقاداً واستيقاداً، وَقد وقَدِت النارُ وتوقّدَتْ واستَوْقَدَت استيقاداً أَيْضا, والعَرَب تَقول: أَوقدْتُ للصِّبَا نَارا، أَي: تركته ووَدّعْتُه))[٦٠], الانطفاء ((والاطفاء في الكثير والقليل يقال: أخمدت النار وأطفأت النار, ويقال: أطفأت السراج ويقال أخمدت السراج، وطفئت النار يستعمل في الخمود مع ذكر النار, فيقال: خمدت نيران الظلم ويستعار الطفي في غير ذكر النار فيقال طفئ غضبه,... وقيل الخمود يكون بالغلبة والقهر والاطفاء بالمداراة والرفق، ولهذا يستعمل الاطفاء في الغضب؛ لأنه يكون بالمداراة والرفق، والاخماد يكون بالغلبة،

ولهذا يقال خمدت نيران الظلم والفتنة, وأما الخمود والهمود فالفرق بينهما أن خمود النار أن يسكن لهبها ويبقى جمرها، وهمودها ذهابها البتة, وأما الوقود بضم الواو فاشتعال النار والوقود بالفتح ما يوقد به)).[٦١]

٥- أمام/وراء, يقول:[٦٢]

أمامٌ لهم شوقا يهزُّ رأسه

ليسقط إياما عليه وراؤه

فالأمام في اللغة: ((الْقُدَّامُ، يَقُولُ: صَدْرُكَ أَمَامُكَ، رَفَعَ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسْمًا، وَيَقُولُ: أَخُوكَ أَمَامَكَ))[٦٣], والوراى: ((فَإِنَّه يَكُونُ مِنْ خَلْفٍ، وَيَكُونُ مِنْ قُدَّامٍ, قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:.

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] أَيْ أَمَامَهُمْ. وَيُقَالُ الْوَرَاءُ: وَلَدُ الْوَلَدِ، أَرَادُوا بِذَلِكَ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١])) .[٦٤]

٦- بدء/ختم, يقول:[٦٥]

بدأتها زهرا يفوح حبنا

وبالذبول بيننا ختمتها

يقال : ((البَدْءُ والبَدِيءُ: الأَوَّلُ؛ ومنهُ قَوْلُهُمْ: افْعَلْهُ بادِيَ بَدْءٍ، عَلَى فَعْلٍ، وبادِي بَدِيءٍ عَلَى فَعِيلٍ، أَي أَوَّلَ شيءٍ))[٦٦], والفرق بين بدء وبدو, بالهمز هو الظهور بقصد وبالواو هو الظهور من غير قصد[٦٧], وخَتَمَ بفتح التاء: ((وَهُوَ بُلُوغُ آخِرِ الشَّيْءِ. يُقَالُ خَتَمْتُ الْعَمَلَ، وَخَتَمَ الْقَارِئُ السُّورَةَ. فَأَمَّا الْخَتْمُ[بسكون التاء]، وَهُوَ الطَّبْعُ عَلَى الشَّيْءِ)).[٦٨]

الخلاصة: هناك كثير من ألفاظ الترادف والتضاد قد استعملها الشاعر بسياقات مختلفة فأعطتنا معان متنوعة كلٌّ بحسب سياقها التعبيري, وهذا ينُم عن الخزين اللغوي الذي يتمتع به الشاعر زينل الصوفي, لكننا أخترنا منها نماذج للاستشهاد بهذه الموضوعات اللغوية, نأمل أن تكون هناك دراسة مستفيضة تشمل الحقول الدلالية والمباحث اللغوية في المجموعات الشعرية الصادرة للشاعر زينل الصوفي ليتضح لنا المعجم اللغوي الذي يتسلح به الشاعر.

الخاتمة:

قد توصلنا من خلال هذا البحث الى جملة من النتائج, هي:

١- نظرية الحقول الدلالية تقدم لنا تصورا دقيقا عن القاموس اللغوي للشاعر وتوضح أهم الركائز المرتبطة بالبنى اللغوية.

٢- أن هذه النظرية مكنتنا من جمع وتصنيف وترتيب الألفاظ داخل كل حقل في شعر الشاعر.

٣- أحالتنا الدراسة الدلالية في شعر زينل الصوفي على حقيقة معجميه اللغوي, فمكانت ألفاظه تجسد لواقع نفسي شعوري ليس واقع كلمات وعبارات, فحركات النفس والمشاعر عنده متناسبة مع وقفات التأمل في قصائده مما أكسبها طاقة جديدة في الأداء وزاد وضوحا للمحتوى.

٤- يمكن القول أن الشعر اتسم بالقدرة الفائقة على اعتماد معجم لغوي معاصر يحمل شحنات دلالية باهرة, وما عرف عن شعره بأنه يبتعد عن الغرابة والتعقيد.

هذا ونأمل في المستقبل أن نحظى بدراسة أوسع وأشمل في مجال الحقول الدلالية أو ما شابهها في شعر زينل الصوفي.

الهوامش:

[١] نظرية الحقول الدلالية, د. عمار شلواي, (مقال), مجلة العلوم الانسانية, جامعة محمد خضير, عدد٢, سنة ٢٠٠٢: ٣٩

[٢] مقاييس اللغة, احم ابن فارس, تح: شهاب الدين, دار الفكر, بيروت– لبنان, ط٢, ١٩٩٨: ٢١٢.

[٣] لسان العرب, لابن منظور, طبعة دار المعارف: ٢٦٤.

[٤] المفردات في عريب القرآن, للراغب الأصفهاني, تح: محمد خليل عيتاني, دار المعرفة, بيروت– لبنان, ط٣, ٢٠٠١: ١١٧.

[٥] ينظر علم الدلالة, حاتم الضامن, المكتبة الوطنية, بغداد– العراق, ١٩٨٩: ٧٥.

[٦] ينظر علم الدلالة أحمد مختار عمر, علم الكتب, القاهرة–مصر, ٧٩–٨٩.

[٧] مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي, نور الهدى لوشن, المكتبة الجامعية, الاسكندرية–مصر, ط١, ٢٠٠١: ٣٧٢.

[٨] ينظر علم الدلالة, أحمد مختار: ١١٠–١١١.

[٩] ينظر علم الدلالة النظري والتطبيق, فوزي عيسى, المكتبة الوطنية, الاسكندرية– مصر, ط١, ٢٠٠٨: ١٦٨.

[١٠] ديوان كان شيئا من الماء:١٠–١١

[١١] ديوانه: ١٥

[١٢] ديوانه: ٢١

[١٣] ديوانه: ٢٤

[١٤] ديوانه: ٧–٩

[١٥] ديوانه:

[١٦] ديوانه: ٤٠

[١٧] ديوانه: ٥٩

[١٨] ديوانه: ١٠

[١٩] ديوانه: ٦٤

[٢٠] ديوانه: ٧٢

[٢١] تهذيب اللغة, لأبي منصور الأزهري, تح: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث, بيروت–لبنان, ط١, ٢٠٠١: ٦٨/١٤, ينظر مجمل اللغة: ٤٢٧

[٢٢] التعريفات, للشريف الجرجاني, مكتبة لبنان, بيروت, د.ط, ١٩٦٩: ٢١٠

[٢٣] كشّاف اصطلاحات الفنون, للتهاوني, تح: د. لطفي عبد البديع, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٦٣: ٦٦/٣.

[٢٤] في قضايا فقه اللغة, صالح بلعيد, ديوان الجامعة للمطبوعات المركزية, بن عكنون, بسكرة– الجزائر, ١٩٩٥: ١١٣.

[٢٥] ديوانه: ١٠

[٢٦] تهذيب اللغة: ٤٤/١٢.

[٢٧] مجمل اللغة, أحمد بن فارس, تح: زهير عبد الحسين, مؤسسة الرسالة, بيروت–لبنان, ط٢, ١٩٩٨: ٧٧٦

[٢٨] لسان العرب: ٥٦٢/١١

[٢٩] ديوانه: ٢١

[٣٠] تهذيب اللغة:١٩٦/٧

[٣١] لسان العرب: ٦٠/١٢

[٣٢] ديوانه: ٢٢

[٣٣] ينظر تهذيب اللغة: ٦/٣, ٢٦٢/٥, مجمل اللغة: ٤٧٩, ٥٤١

[٣٤] مجمل اللغة: ٤٨١

[٣٥] ديوانه: ٤٠

[٣٦] مقاييس اللغة: ٥/ ٢٤٠

[٣٧] ينظر تهذيب اللغة: ٤/٢٥٠, مقاييس اللغة: ٣٩٧/٤.

[٣٨] ديوانه: ٨٦

[٣٩] تهذيب اللغة: ٢٠٠/٤

[٤٠] ينظر مقاييس اللغة: ٩٩/٣

[٤١] مقاييس اللغة: ٣٠٣/٣

[٤٢] ديوانه: ٨٧.

[٤٣] تهذيب اللغة: ٢٤٤/٥

[٤٤] ينظر مجمل اللغة: ٣٣٥

[٤٥] لسان العرب, ابن منظور, دار صادر, بيروت–لبنان, ط٣, ١٤١٤هـ: ٢٤٦/٣.

[٤٦] كتاب الأضداد' لأبي حاتم السجستاني, تح: محمد عبد القادر أحمد, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة–مصر, ١٩٩١: ٧٥

[٤٧] كتاب الأضداد, للصاغاني, تح: محمد عبد القادر أحمد, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة– مصر, ١٩٨٩, : ٤٦

[٤٨] ديوانه: ٣٤

[٤٩] لسان العرب: ٧١١/١

[٥٠] ينظر مقاييس اللغة: ٦٥/٥.

[٥١] مقاييس اللغة, لابن فارس' تح: عبد السلام هارون, دار الفكر, ١٩٧٩: ٢١٠/٢–٢١٢

[٥٢] ديوانه: ٣٧

[٥٣] تهذيب اللغة: ٣٤٣/١٥

[٥٤] ينظر معجم الفروق اللغوية: ٢٢٦, لسان العرب: ١٦٤/٣

[٥٥] مقاييس اللغة: ٤٥٣/٤

[٥٦] ينظر م. ن: ٢٧٦/١

[٥٧] ديوانه: ٤٣

[٥٨] لسان العرب: ٦٣٧/١

[٥٩] ديوانه: ٣٨

[٦٠] تهذيب اللغة: ١٩٥/٩

[٦١] معجم الفروق اللغوية: ٣٠

[٦٢] ديوانه: ٣٩

[٦٣] مقاييس اللغة: ٢٩/١.

[٦٤] م. ن: ١٠٤/٦

[٦٥] ديوانه: ٧٠

[٦٦] لسان العرب: ٢٧/١.

[٦٧] الفروق اللغوية: ٢٨٧

[٦٨] مقاييس اللغة: ٢٤٥/٢

المراجع والمصادر:

١- التعريفات, للشريف الجرجاني, مكتبة لبنان, بيروت, د.ط, ١٩٦٩: ٢١٠

٢- تهذيب اللغة, لأبي منصور الأزهري, تح: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث, بيروت-لبنان, ط١, ٢٠٠١.

٣- ديوان كان شيئا من الماء, زينل الصوفي, ادارات الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق, ط١, ٢٠٢١.

٤- علم الدلالة أحمد مختار عمر, علم الكتب, القاهرة-مصر,ط٥, ١٩٩٨.

٥- علم الدلالة النظري والتطبيق, فوزي عيسى, المكتبة الوطنية, الاسكندرية- مصر, ط١, ٢٠٠٨.

٦- علم الدلالة, حاتم الضامن, المكتبة الوطنية, بغداد- العراق, ١٩٨٩.

٧- الفروق اللغوية, أبو الهلال العسكري, تح: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الاسلامي, ط١, ١٤١٢هـ.

٨- في قضايا فقه اللغة, صالح بلعيد, ديوان الجامعة للمطبوعات المركزية, بن عكنون, بسكرة- الجزائر, ١٩٩٥.

٩- كتاب الأضداد, للصاغاني, تح: محمد عبد القادر أحمد, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة- مصر, ١٩٨٩.

١٠- كتاب الأضداد' لأبي حاتم السجستاني, تح: محمد عبد القادر أحمد, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة-مصر, ١٩٩١.

١١- كشّاف اصطلاحات الفنون, للتهاوني, تح: د. لطفي عبد البديع, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٦٣.

١٢- لسان العرب, ابن منظور, دار صادر, بيروت-لبنان, ط٣, ١٤١٤هـ.

١٣- لسان العرب, لابن منظور, طبعة دار المعارف.

١٤- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي, نور الهدى لوشن, المكتبة الجامعية, الاسكندرية- مصر, ط١, ٢٠٠١.

١٥- مجمل اللغة, أحمد بن فارس, تح: زهير عبد الحسين, مؤسسة الرسالة, بيروت-لبنان, ط٢, ١٩٩٨.

١٦- معجم الفروق اللغوية, أبو الهلال العسكري, تح: محمد ابراهيم سليم, دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة-مصر, ١٤٣١هـ.

١٧- المفردات في عريب القرآن, للراغب الأصفهاني, تح: محمد خليل عيتاني, دار المعرفة, بيروت- لبنان, ط٣, ٢٠٠١.

١٨- مقاييس اللغة, احم ابن فارس, تح: شهاب الدين, دار الفكر, بيروت- لبنان, ط٢, ١٩٩٨.

١٩- مقاييس اللغة, لابن فارس' تح: عبد السلام هارون, دار الفكر, ١٩٧٩.

٢٠- نظرية الحقول الدلالية, د. عمار شلواي, (مقال), مجلة العلوم الانسانية, جامعة محمد خضير, عدد٢, سنة ٢٠٠٢.